



شاهد عيان على الحياة المصرية



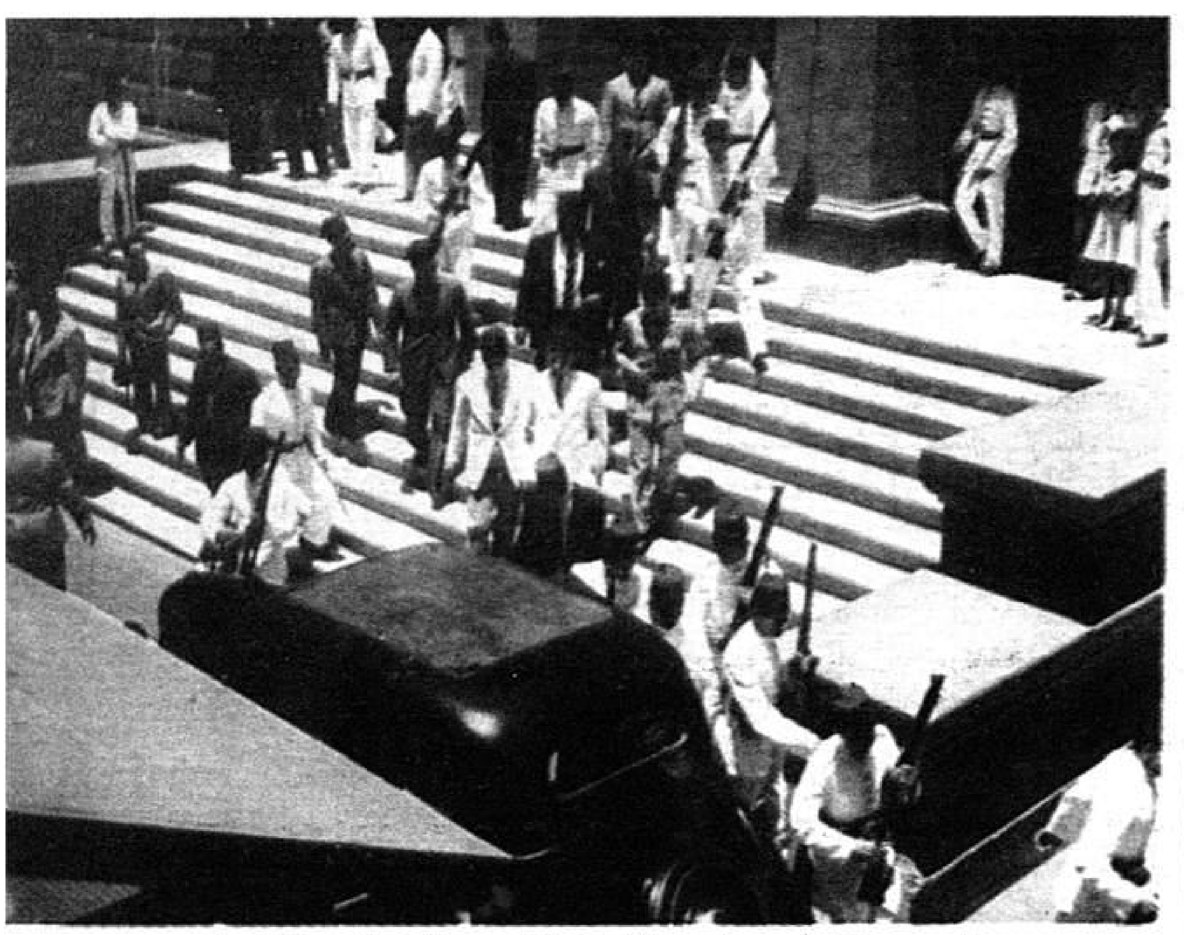
دراسة يكتبها

جمال بدوى

٢٥٨



أحمد ماهر باشا

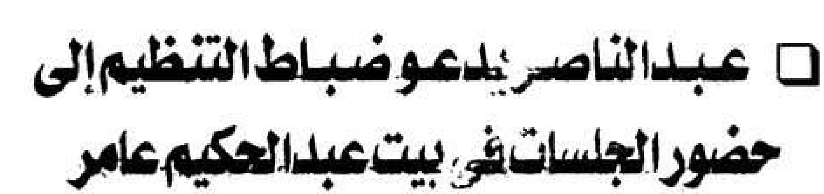


محمود العيسوى قاتل أحمد ماهر باشا عند نقله من قاعة المحكمة إلى السجن بعد الحكم عليه بالإعدام

الضباط الأحرار يحضرون الأرواح

بدأ الأستاذ حلمى سلام فى كتابه «قصة ثورة الجيش من المهد إلى المجد» فى نوفمبر ١٩٥٢، معتمدا على صلاته الوثيقة بتنظيم الضباط الأحرار وفى طليعته اللواء محمد نجيب والبكباشى جمال عبدالناصر والصاغ عبدالحكيم عامر. وأوضح فى الحلقة الأولى أن فكرة إنشاء التنظيم نبتت من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، والعمل على استرداد الكرامة المصرية التى أهينت من جانب السفير البريطانى، وان ثورة الضباط كانت ثورة للملك فاروق الذى كان يمثل، حينئذ، الوطنية المصرية المتحمسة، وقال حلمى سلام أن بعض هذه الجماعات انحرفت لتعمل لحساب الملك، وتنفيذ رغباته فى اغتيال خصومه، وكيف أن بعض هؤلاء الضباط تحولوا إلى جواسيس على زملائهم لحساب الملك وتشكيل ما يعرف بالحرس الحديدى.

وفى الحلقة الثانية من هذه القصة عاد بنا حلمى سلام إلى عام ١٩٤٦ لنجد الضباط الناقمين على الاحتلال والمحتلين ماضين فى سياسة التكتل وتجميع الأنصار، ولكن الرأس - وهو جمال عبدالناصر - لا يفصح لمن يلتفون حول الفكرة التى يدعو إليها، عن شىء يمكن أن يؤخذ ضده، إذا ما انقلب أحد هؤلاء الناس وصار حربا عليه، ومن هنا حرص «جمال» على أن لا يكون لاجتماعاته بإخوانه طابع معين يمكن أن يكشف عن الغرض الحقيقى من هذه الاجتماعات.. وإنما كان يجتمع ويكرر الاجتماع تحت ستار ألوان مختلفة من الأسباب، لا السبب الحقيقى، فمرة كان يقول لزائريه «أحب أن نجتمع لندردش فى شئون الدنيا». ومرة ثانية كان يقول لهم «أحب أن نجتمع سويا لنتكلم قليلا فى شئون الدين». ومرة ثالثة كان يقول لهم: «هل عندكم مانع من حضور اجتماع لتحضير الأرواح».



■ وحضر الضباط بالفعل أكثر من اجتماع حضرت فيه الأرواح، ولم يكن تحضير الأرواح غرضا فى ذاته، وإنما كان وسيلة لامتحان الضباط، وتعرف ميولهم واتجاهاتهم من واقع آرائهم التى سيدونها فى هذه الاجتماعات، إما من عندياتهم، وإما تعليقا على ما يصدر عن الأرواح المستحضرة من آراء.

في بيت عبدالحكيم عامر

وكان المكان المختار لتحضير الأرواح: بيت الصاغ عبدالحكيم عامر، ولا بأس من أن نشهد جلسة من تلك الجلسات فإنها - كما يقول حلمى سلام - جزء من ثورة الجيش التى غلفت بأكثر من غلاف، حتى إذا جاء الحين أزاحت النقاب بصلف وجرأة عن وجهها الحقيقى.

كان اليوم هو ١٦ فبراير سنة ١٩٤٦ وقد طلب الحاضرون من الوسيط - وكان معيدا فى كلية العلوم - أن يحضر روح «أحمد ماهر». الذى ترأس الوزارة فى أكتوبر ١٩٤٤ بعد إقالة حكومة النحاس. حتى إذا ذهب إلى مجلس النواب فى فبراير ١٩٤٥ أطلق عليه المحامى محمود العيسوى طلقات قاتلة من مسدسه أثناء عبور ماهر البهو الفرعونى من قاعة مجلس النواب إلى قاعة مجلس الشيوخ ليعلن قرار إعلان الحرب على ألمانيا، ورغم أن الحرب العالمية الثانية قد انتهت بهزيمة واستسلام ألمانيا، إلا أن الحلفاء أعلنوا أن إعلان الحرب على ألمانيا شرط أساسى للانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة. ومعنى ذلك أنه قرار شكلى بحت ولا يمس حياد مصر، لكن المحامى عيسوى وجد فيه انغماس مصر فى الحرب العالمية، ومن ثم ارتكب جريمته احتجاجا على القرار الذى اتخذه أحمد ماهر.

محارب هادىء .. متحمس

أما عن عبدالحكيم عامر الذى عقدت جلسة تحضير الأرواح فى بيته، فقد وصفه حلمى سلام بأنه محارب هادىء إلى أبعد حدود الهدوء، تحسبه من فرط هدوئه أنه ماء.. وهو فى الحقيقة لهيب.

أما عن أخلاقه فو رجل يرتفع به خلقه إلى أسمى طراز من الرجال، ويكفى للتدليل على هذا أنه جرح في ميدان القتال بفلسطين، فعاد إلى القاهرة ليعالج من جراحه، وكان فى حل من ألا يعود إلى الموت الذى كان يحلق فوق رءوس المحاربين فى ميدان القتال، ولكنه ما كاد يشفى، حتى انطلق كالسهم إلى هناك من جديد.

وموقف آخر: لقد كان عبدالحكيم قريبا للفريق محمد حيدر.. فلم يحاول أن يتذرع بصلة القربى ليهرب من النار التى كانت مشبوبة فى فلسطين، فإن النار فى نظره هى المحك الوحيد لرجولة الرجال، كما لم تستطع صلة القربى هذه أن تمنعه من أن يكون العضو الثانى فى جمعية الضباط الأحرار التى قررت أن تدمر نظاما كان قريبا من أركانه وأعمدته.

وقال سلام عن عامر: تستطيع الاعتماد عليه إذا كان المطلوب بذلا للروح، أو بذلا للدم، أو بذلا للعرق، فقد خلقته الطبيعة رجلا قد لا تجده والجو صفو، والريح رخاء، ولكنك لا تفتقده إذا ادلهمت الأمور، وتكاثفت السحب، واشتدت الحاجة إلى رجولة الرجال.. كان أركان حرب اللواء محمد نجيب فى ميدان القتال بفلسطين، ورقى استثنائيا إلى رتبة الصاغ «الرائد» تقديرا لبسالته فى الميدان.

فى حضرة الأرواح

والآن.. وقد عرفت الرجل الذى جعل من بيته بوتقة تنصهر فيها أفكار بعض الثائرين، وتمتحن فيها استعدادات البعض الآخر دون أن يحسوا أنهم موضع امتحان من زملاء أشداء أذكياء.. الآن نعود إلى جلسة الأرواح التى كانت تطرح فيها المسائل الوطنية على بساط البحث.

ها هى ذى روح «أحمد ماهر» تحضر.. ويدور بينها وبين الحاضرين الحوار الطريف التالى.. وهو حوار يكشف عن حقيقة الأمور التى كانت تأخذ على المجتمعين تفكيرهم، ويدلنا على أنهم لم يكونوا يهزلون، حتى وهم يغرقون نواياهم فى بحور الأرواح.

ولعل القارىء لم ينس أنه فى الوقت الذى حدثت فيه هذه الجلسة، كانت الاستعدادات دائرة لمفاوضات بين رئيس الوزراء إسماعيل باشا صدقى، وبين «لورد ستانسجيب» وزير خارجية بريطانيا.

الموقف السياسى فى مصر

ودار الحوار كالآتى:

● ما رأيك فى الموقف السياسى العام والحوادث الأخيرة؟

- روح ماهر باشا: أما رأيى فى الحوادث الأخيرة والموقف العام، وما ينتظر وما لا ينتظر، فالمتوقع أولا هو حشد الجانب المصرى لأقوى المفاوضين الذين يمكنهم أن ينالوا أقصى ما كانوا يريدون، وأخشى أنه مهما قوى الحشد للمفاوضة أن ينال على الأكثر تعديلا فى المظهر دون الجوهر، إلا فيما ندر.. ولكن هناك الاحراج السياسى الشعبى، وهذا هو المنتج، أو الذى يتوقع منه الإفادة إلى حد يستحق معه منى لفظ - المفيد - وهنا ستكون أمور عامة دولية شاملة فى القريب العاجل، وستثور كل ذات مطلب.. وستتراكم المطالب فيأبى المسيطر إلا التمسك بالحبال حتى لا يغرق، وفى سبيل ذلك سيضحى بالكثير رغم أنه سيحتفظ بالأهم، ويجب يا إخوانى أن تكونوا متنبهين لكل ما يتم ولا تتقبلوا إلا الأحسن دائما،